شيراز

نافذة على الأدب الأيراني

تصدر عن مركز
الفكر والفن الأسلامي
المشرف العام : حسن بنيانيان

العدد الثامن / صيف ٢٠٠٧

نافذة : يسألونك عن القصيدة ٢
ويلاه ...أماه/ محمد حسين شهريار/ترجمة : فرزدق الأسدي ٤
على خطى " نيما يوشيج "/عبدالرضا رضائي نيا/تعريب : حيدر نجف ٨
بروين .. سيدة الشعر الفارسي المعاصر/سمير أرشدي ٤٨
الشتاء في الآداب العالمية/الدكتور : عباس العباسي الطائي ٥٢
رضا صفريان/ ترجمة : باسم الرسام ٦٠
محمد رضا عبد الملكيان/ ترجمة : موسى بيدج ٦٦
محمد رضا تركي/ ترجمة : موسى بيدج ٧٠
هادي سعيدي كياسري/ ترجمة : باسم الرسام ٧٤
آفاق شوهاني/ ترجمة : موسى بيدج ٨٠
مرتضى نوربخش/ ترجمة : موسى بيدج ٨٤
حقيبة الكويت الثقافية/سمير أرشدي ٨٨
حافظ الشيرازي الى العربية شعراً/عمر محمد شبلي ٩٢
شيرازيات / محمد علي شمس الدين ٩٦
شيرازيات / وجيه عباس ٩٩
الأعياد الفارسية في الشعر العربي/د. محمد كاظم حاج ابراهيمي ١٠٢
إصدارات جديدة/جمال كاظم ١١٨
زيارة ١٢٠

رئيس التحرير:موسى بيدج
المدير الفني والرسوم :باسم الرسام

لجنة الترجمة: جمال كاظم، حيدرنجف، سمير أرشدي، صادق خورشا
تنضيد الحروف: حسام روناسي

سعر النسخة : ١٢٠٠٠ ريال أيراني

المراسلات: طهران - شارع حافظ - تقاطع سمية - مركز الفكر والفن الأسلامي - مكتب مجلة شيراز
طهران - ص.ب :١٦٧٧/١٥٨١٥ - تلفاكس : ٨٨٩٥٥٤٣

" الشتاء في الآداب العالمية "

دراسة مقارنة

الدكتور : عباس العباسي الطائي
الجامعة الاسلامية الحرة (طهران)

١. الشاعر الانكليزي " سوينبرن "
٢. الشاعر الايراني " مهدي اخوان ثالث "
٣. الشاعرة العراقية " نازك الملائكة "

للشتاء سهم في الأدب كما لسائر الفصول. وقد تناول الشعراء الشتاء بأشعارهم كلّ على شاكلته ووفقاً لبيئته ، فمنهم من أعطاه وصفاً حسياً فوصفَ ثلجه وجليده وبرده وصقيعه وأعاصيره كبعض كبار الشعراء الايرانيين في الأدب الفارسي القديم، أمثال :

الرودكي والفردوسي والمنوجهرى ومسعود سعد السلمان وهكذا كمال الدين اسماعيل الذي وصف الثلج بقصيدة جعل رديفها[1] كلمة برف

أما في الشعر الفارسي الحديث، فقد تناول الشعراء "الشتاء" بأساليب رمزية ، ومن بينهم الشعراء إخترنا " أخوان ثالث " وقارناه بالشاعر الانكليزي سوينبرن والشاعر ة العراقية نازك الملائكة .

أولاً: " سوينبرن " :

هو الشاعر الانكليزي المعروف (١٨٣٧ -١٩٠٩)؛ وله قصيدة شهيرة بعنوان " بستان بروسرباين "، كتب عنها النقاد ومنهم: " ت.س- اليوت " و " أوليور إلتن ".و" بروسرباين " في الأساطير الرومية، اسم لابنة " زيوس " و " دميتر " اله الزرع، وقد خطف " هادس " اله الحكم على ما تحت الأرض، " بروسرباين " وتزوجها ، لكن دميتر ، أعادها ، وتمّ الاتفاق على أن تعيش بروسرباين فصلي الربيع والصيف على وجه الأرض ، وتبقى في الخريف والشتاء تحت الأرض. وكان ذلك رمزاً للإنبات والنمو والجدب والجفاف .

وفي هذه القصيدة إشارات الى هذه الأسطورة التي يرمز بها الشاعر سوينبرن الى الجمود والاحتقان في عصر حكم " البيوريتان " الجائر ، يقول فيها :

" لقد سئمت من الدمع والضحك
من أناس يضحكون ويبكون
ومما قد يحدث بعد ذلك
ومن أجل أناس يزرعون ويحصدون
ومن الأيام والساعات
ومن الورود العقيمة وأزاهيرها الذابلة
ومن الآمال والأحلام ، والقوى الجبارة
ومن كل شيءٍ سوى النوم "[1]

ويرى الناقد " أليور إلتن " أنَّ في هذا الشعر سحاباً من " الموت والصمت ". ففي شعر سوينبرن، " الرياح الساكنة " و " الأمواج الميتة " و " الأزهار الذابلة الممزقة " و" الورود العقيمة " و " المزارع الجافة " و " السنين المنصرمة " و " المصائب الخطيرة " و " الأحلام الميتة " و " أزهار مجمدة تحت الثلوج لم تتفتح " و " الأجنحة المتعبة " و" نومٌ أبدي " .

كما يصور الموت " إمرأة مصفرة اللون على رأسها

١. الرديف : في الشعر الفارسي، عبارة عن كلمة أو أكثر تتكرر بعد الروي

١. يوسفى، غلامحسين : جشمه روشن، ص ٧٣٣ و ٧٣٤ .

تاج من الأوراق الذابلة الجامدة، تجمع كلّ ما هو فانٍ بيديها الباردتين الخالدتين، وهي تنتظر الجميع "[١].

فشعر سوينبرن نموذج للشعر المعبر عن أحوال عصره من خلال أسطورةٍ قديمةٍ، أضفى على عناصرها تصاوير حية.

أما اليونان فإنهم يُصورون الفصول الأربعة على شكل نساء، والشتاء تمثله لديهم إمرأة عارية الرأس واقفة الى جانب أشجار عارية من الأوراق[٢].

ونحن لا نشك في أن الشاعرين الآخرين قد عثرا على قصيدة "بستان بروسرباين" لسوينبرن". وإن راودنا بعض الشك في حصول أخوان ثالث عليها، فلا نشك في حصول نازك الملائكة على هذه القصيدة على الاطلاق، لأنَّ نازك قد إتصلت بالأدب الانكليزي وعاشت في تلك الديار لفترة طويلة.

أما عن إتصال الشعر المعاصر العربي والشعر المعاصر الفارسي فقد تحدثنا عن أسباب هذا الاتصال وتزامن الأحداث التي ساهمت في التطورات المتشابهة على الأدبين العربي والفارسي وبالتالي قاربت بين الأدبين كما كانا من قبل على اتصال وثيق طيلة العصر الاسلامي حتى القرن العشرين. فليس عجيباً أن يكون اخوان ثالث قد عثر على بعض مؤلفات نازك الملائكة وهي رائدة الشعر الحر – على حدّ تعبيرها – ولها آراء في ذلك، ولا نستبعد أن تكون قصيدة "أغنية لشمس الشتاء" مما وقع في يد الشاعر الفارسي اخوان ثالث.

ولنفترض أنَّ اخوان لم يعثر على شعر نازك، فيكفينا أن نقتنع بأن الشاعرين اخوان ونازك استقيا بعض مفاهيم قصيدتيهما من قصيدة "سوينبرن" لأن المشابهات لم تترك لنا أيّ ترديد في ذلك.

قصيدة "أغنية لشمس الشتاء":

الدكتورة نازك الملائكة: ولدت ببغداد ١٩٢٣، في عائلة عرفت بالشعر والأدب. عملت في التدريس بعد تخرجها من دار المعلمين العليا. ثم سافرت الى الولايات المتحدة، ثم عادت الى العراق ثم الى الكويت فعملت في التدريس. وبعد مرض عضال طال أكثر من ٢٠ سنة توفيت في القاهرة في الشهر السادس من عام ٢٠٠٧.

لها مجموعة دواوين، هي "عاشقة الليل" و "شظايا ورماد" و "قرارة الموجة" و "شجرة القمر" و "يغير ألوانه البحر".

ولها دراسات نقدية وبحوث أدبية أهمها "قضايا

١. المصدر نفسه، ص ٧٣٤.
٢. المصدر نفسه، ص ٧٣٥.

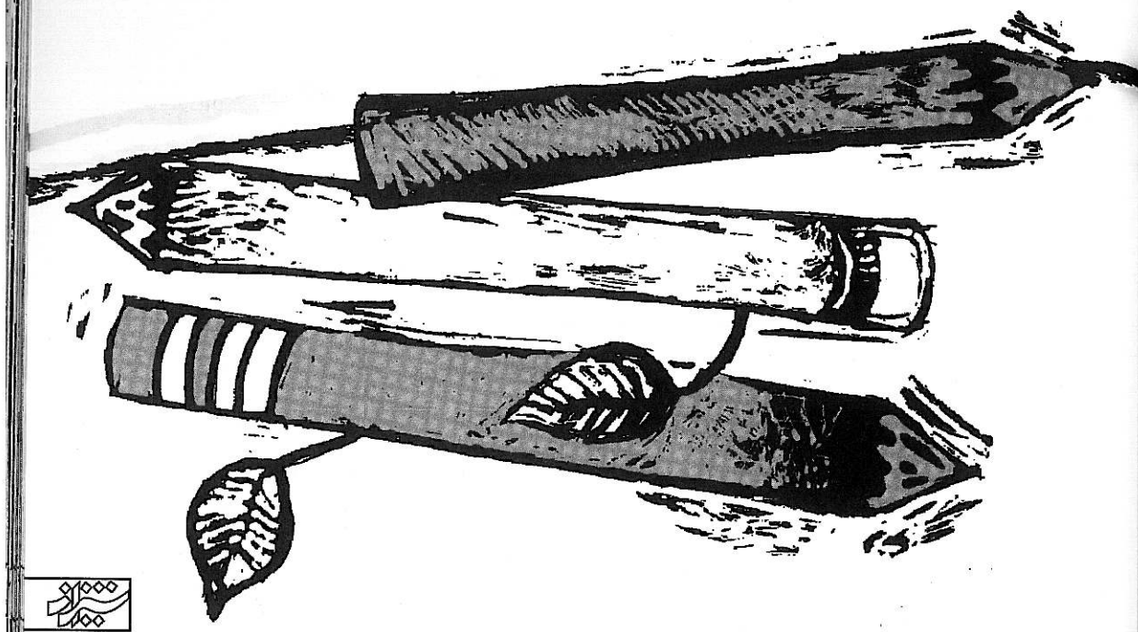

الشعر المعاصر" وتعتبر نازك الملائكة من الرواد الأوائل لحركة الشعر الحر[٣].

ويبدو أنَّ الشاعرة نازك في قصيدتها "أغنية لشمس الشتاء" قد استبدلت فكرة تصوير الشتاء بامرأة في الأسطورة اليونانية، وفكرة تصوير الشمس بامرأة شقراء جميلة ذات جدائل شقر وشفتين ملتهبتين، لأن الشتاء في العربية لا يجوز وصفه بالمرأة وكذلك الموت، وراحت تخاطبها وتستعين بها على الشتاء الذي أبقت صفاته التي جاءت في الأثرين السابقين وهي، البرد، والثلج والجليد، والجمود، وموت الأزهار الذي لا شك أنه يرمز الى موت الانسان. تقول نازك الملائكة:

الى شمس الشتاء

أشيعي الحرارةَ والرفقَ في لمساتِ الرياحْ
ولفّي جدائلكِ الشُقْرَ حولَ الفجاج الفسَاحْ
وهذا التحرّق في شفتيكِ أريقي لظاهْ
على طبقات الثلوج الكثيفةِ فوق المياهْ

أذيبي بها قطراتِ الجليدْ
عن العُشبِ عن زهرةٍ لا تريدْ
فراق الحياه
فما زال فيها رحيقٌ تخبّئُهُ للصباحْ[٤]

٣. بدوي مصطفى: مختارات من الشعر العربي الحديث، ص ١٤٢.
٤. ديوان نازك الملائكة، مجموعتها الشعرية "قرارة الموجة"، قصيدة: أغنية لشمس الشتاء، دار العودة، بيروت، ١٩٨٦، ص ٣٧١.

وقد وجدنا بعض المعاني والمفاهيم في قصيدة سوينبرن لا تبتعد عن معاني نازك، نحو: " أزهار لم تتفتح " و " أزهار مجمدة تحت الثلوج " و " الأزهار الذابلة " و " المزارع الجافة " ومن قصيدة نازك :

ولولاكِ ياشمس مات النشيد المروجْ
وجف رحيق الشذى تحت برد الشتاء اللجوجْ
ولولاك ما كان أخشن مسَّ الفضاء الرهيبْ !
ومن ذا يذيب
بريقَ الحرارة في سروة جمدتها الثلوج؟[٥]

والشاعرة نازك لا تقلُّ رمزية عن الشاعر الانكليزي سوينبرن الذي عبَّر عن الاحتقان والاختناق " بالرياح الساكنة "و" الأمواج الميتة "، فقد عبرت نازك عن ذلك " بموت النشيد ".

و "كثرة المصائب وخطورتها" عند سوينبرن، تقابلها نازك " بالفضاء الرهيب ".و " الأحلام الميتة " في قصيدة سوينبرن ، جاءت في قصيدة نازك بعنوان " سروة جمدتها الثلوج " و

" موت للأحلام " في شعر سوينبرن ، جاء في شعر نازك بمعنى " زهرة لا تريد فراق الحياة ، فما زال فيها رحيق تخبئه للصباح " ومعان أخرى في القصيدتين لا تبتعد عن بعضها .

٥. المصدر نفسه ، ص٣٧٥.

قصيدة " الشتاء " :

مهدي اخوان ثالث (١٩٢٨ - ١٩٩٠) بدأ كتابة الشعر القديم ، وكان مولعاً بالأدب الفارسي القديم ، وسرعان ما اعتنق الاسلوب الحر المعروف بالمدرسة النيمائية التي وضعها الشاعر الايراني المبدع نيما يوشيج ، وقد ظهر هذا الولاء بديوانه المسمى " الشتاء " الذي ظهر سنة ١٩٥٦ م .

ومن آثار اخوان، آخر الشاهنامه ، والكلاب والذئاب ، وقصة الليل ، والتقرير ، والمنادي ، ومن أبرز خصائص شعر اخوان ، تعلقه بالأساطير ، والثقافة الفارسية القديمة ، وهو متأثر بشاهنامه .. الشاعر الملحمي الايراني الفردوسي. ولاخوان مساهمة جادة في ترسيخ مدرسة نيما الشعرية الحديثة .

اما شعر " زمستان " الذي نشره اخوان عام ١٩٥٦م ، فيتشابه مع شعر سوينبرن في التعبير عن المعانات من الاضطهاد وتعسف الحكم الجائر ، وسرعان مالاقت القصيدة الاستقبال الحاشد من جميع طبقات القراء الايرانين . وهذه مقاطع من القصيدة :

الشتاء
" لا أحد يردّ السلام عليك

فالكل واضع رأسه في جيبه
وليس من يُفكر حتى بزيارة أحبائه
فالناس لا ينظرون الى أكثر من تحت أقدامهم
والطريق مظلم وخطير
أخرج يده من تحت ابطه مكرهاً ، كي يصافحه،
فالبرد قارصٌ جداً "

ان قصيدتي سوينبرن واخوان ، تحكيان عن الكبت والضيق من الضغوط السياسية ، أما قصيدة نازك فهي أيضاً ناتجة عن الأوضاع السياسية في العهد الملكي في العراق وما كان يعانيه الشعب العراقي آنذاك .

اذن فالقصائد الثلاث ناتجة عن أوضاع سياسية متشابهة مما جعل الشعراء الثلاثة ... ينطلقون من قواعد متشابهة ، فجاءت عناصر قصائدهم متشابهة والرموز فيها متقاربة أيضاً . والظالم رمزوا عنه بالشتاء ورمزوا عن الظلم والكبت والاحتقان بالبرد والجليد والثلج والانجماد.

في قصيدة الشتاء :
فالنفس الخارج من الصدر
يتحول الى سحابة سوداء
ثم تتجمد كالجدار أمام عينيك
فاذا كان النَفَس هكذا ، فماذا تنتظر
من الاصدقاء والاقارب والأباعد ؟!

والتعبير عن الاحتقان السياسي والاجتماعي بالانجماد والثلج والجليد ، من أكثر العناصر ظهوراً في في هذه القصائد. والوصف ظاهر والتشبيه يكاد يكون من النوع التقليدي المعهود. واذا كانت نازك الملائكة تستعين بالشمس الباهتة اللون فاخوان يستعين بالمسيح ، لكنَّ مسيح اخوان شيخٌ عجوز ضعيف ردٌّ الثياب يقول اخوان :

" أيها المسيح يا صاحب المروءة ،
أيها النصراني يارثّ الثياب إنَّ الجوّ باردٌ وقاس جداً
فلتزدد أنفاسه حرارة ولتطب نفساً
أجب سلامي وافتح الباب
فإني ضيفه المغرم "

" فالحزن " المشترك عند هؤلاء الشعراء الثلاثة ظاهر لا يحتاج الى عناء في التفكير للوصول اليه ، يقول سوينبرن :

" إني سئمت الأيام والساعات "

واخوان ثالث يقول :

" تعال وافتح الباب فاني حزين "

ونازك تعبر عن الحزن بالبرودة فتقول :

" يحيل البرودة فيه الى دفء حبٍّ جديد "

و " الشمس " في قصيدة نازك :

امرأة شقراء لكنها " شمس شتاء " وشمس الشتاء ضئيلة الحرارة ، والشمس في قصيدة اخوان " متوارية في تابوت الظلام " ويعبر عنها " بُثريا الفلك " يقول اخوان :

" ياديمي ، ها أنا ضيف السنين والشهور
أنا خلف الباب أهتزُّ من البرد وفي جسمي رعدة
وهذه الأصوات ما هي إلاّ معركة البرد والاسنان
وثريا الفلك – لا أدري – هل ميتة أم حية
فهي متوارية في تابوت الظلام المطبق "

وعند سوينبرن " أجنحتها متعبة " وهي " في نوم عميق دائم ".و " الموت في شعر سوينبرن " " امرأة مصفرة اللون " وفي الاسطورة اليونانية " امرأة عارية الرأس " وعند نازك ، الموت هو الانجماد ، هو " طبقات الثلوج فوق زهرة لا تريد فراق الحياة " وعند اخوان الموت ، موت القلوب هو البرد والانجماد أيضاً ، إذ يقول :

" الجو مكتظ ، والأبواب موصدة
والأنفاس سحابٌ والقلوب متعبة وحزينة
وقلب الأرض ميت ، وسقف السماء قصير
والشمس والقمر يغمرهما الغبار
إنه الشتاء .... "

نتيجة المقارنة :

نحن أمام ثلاثة آثار لثلاثة شعراء من انحاء مختلفة من العالم (سوينبرن شاعر معروف من بريطانيا ، ونازك الملائكة شاعرة من العراق ، واخوان ثالث شاعر من ايران).

ولكلٍ من هذه الآثار قيمته وخصائصه . اما الأسباب التي دعت الى اختيار هذه الآثار للمقارنة فهي للعناصر المشتركة التي دلت خلفياتها على اتصال هذه الآثار ببعضها سواء كان هذا الاتصال مباشراً أو غير مباشر .

أما المشابهات بين هذه الآثار فكثيرة نشير إليها :

١. الشتاء : هو العنصر الأساسي في الآثار الثلاثة .

٢. آثار الشتاء : البرد ، الثلج ، الجليد ، الانجماد .

٣. عناصر الطبيعة : كالعشب والزرع ، والأزهار ، والأوراق والشمس والقمر ، والأرض .

٤. الموت : جاء في هذه الآثار بتعابير مختلفة وهو الأكثر ظهوراً فيها .

٥. الحبُّ القديم في قصيدتي نازك واخوان ثالث .

٦. التحسر على فقدان الحياة والحرية والحيوية والحب .

٧. إشتراك الآثار الثلاثة في هدف مشترك وهو المعارضة والوقوف ضد الظلم والاستبداد وان اختلفت أساليب التعبير في هذه الآثار .

لابدَّ من فوارق بين الآثار المتحاكية وإلاّ أصبحت نسخاً طبق الأصل ، ومن الفوارق في هذه الآثار :

١. الرمزية : قصيدة نازك الملائكة أكثر من القصيدتين الأخريين غموضاً والتغزل فيها وان قلَّ فهو أحد الفوارق في هذه الآثار لأنه في قصيدة سوبنبرن لا أثر للتغزل ، وفي قصيدة اخوان قليل جداً . والسبب ان سوينبرن واخوان كانا واضحين في قصيدتيهما في المعارضة فطابع القصيدتين أكثر سياسية من قصيدة نازك .

٢. التشبيهات والصور الخيالية : في قصيدتي سوينبرن واخوان من النوع القريب – في بعض المواقع – أما في قصيدة نازك فالتشبيهات تبدو أكثر بعداً وغموضاً .

٣. لم يتوسع اخوان في استخدام العناصر الطبيعية وقد أكثر من استخدام الشخصيات كالمسيح ، والصديق والمضيف ، و... على خلاف ما جاء في القصيدتين الأخريين من عناصر الطبيعة كالعشب والزرع والمروج والأزهار والمياه والأوراق والأشجار .

٤. قصيدة نازك الملائكة رغم ما فيها من ابداع ومرونة وغزلية ، لم تحظ باستقبال واسع كما لاقت القصيدتان الأخريان .

٥. النزعة الأسطورية : لا أثر لها في قصيدة نازك وعند اخوان قليلة الظل على خلاف قصيدة سوينبرن التي أصلها اسطورة " بروسرباين " .